

## ديوان أفراح الربيع

المشاعر من البحري

للاستاذة فدوى عبد الفتاح طوقان

— — — — —

لعل الحركة الأدبية في مدينة حيفا أظهر مما هي في المدن الأخرى من فلسطين ، فهذا النشاط الدائب الذي تراه في جميعاتها وأندبتها يجعلنا نقول بهذا الرأي ، ويمرز قولنا ما تطالعنا به في كل مناسبة من مهرجان تقيمه أو ذكرى تحييها تستفز بها الهمم وتوحى إلى الأدباء والشعراء

وقد طلع علينا في العام الماضي نادي أنصار الفضيلة في حيفا بديوان الأمثال والأسجاع للشاعر الشاب حسن البحري ، وإذ قرأنا فيه كلمة اللجنة الثقافية للنادي ، تلك اللجنة التي (أخذت العهد على نفسها أن تحمى لغة الضاد وأن تناضل لتنود عن لغة القرآن ، وأن تبحث وتنقب عن تلك الكتب الضائعة المخفية وراء ظلام الوحدة لتخرج بها إلى عالم النور) أقول إننا إذ قرأنا هذا رأينا أي نهضة أدبية تتطلع إليها عيون الشباب في فلسطين وأي مطمح نبيل يساور قلوبهم المنفتحة للنور . فأقم نفوسنا الأمل المشرق وملاها جمالاً وجلالاً وإيماناً بالمستقبل .

هذه ظاهرة ميمونة لم أر بدا من الإشارة إليها إذ أقدم بين أيدي القراء ديوان « أفراح الربيع » لشاعر حيفا حسن البحري ، أو شاعر الحب والجمال كما يسميه صديقه الشاعر المصري أحمد رامي

نقرأ في هذا الديوان كتاب الطبيعة المفتوح وقد زافت في منظرها الفتان ، وفي جوها الذي سبج فيه خيال الشاعر تنضوع الأزهار وترف الأنداء على نغورها رقيقة براقه ، وهناك الجدول الراقص يستضحك من فرط الطرب ( ويمرّ من بكى

عسا بكى ) بل هناك الدنيا ترف أمام عيوننا طيباً ونوراً وتمتلي شذى وعطوراً

والموسيقى وسحر إبقاعها نصيب وافر من الديوان ، وكثيراً ما نستمع إلى حنين العود وأنين الناي فيه ، فتم لنا صور جمال الطبيعة ، تلك الطبيعة التي نشأ الشاعر في أحضانها المرفوفة رعل من جمالها ونهل ؛ والشاعر كما بلوح لنا موسيقى بطبعه وله هيام لا حد له بالموسيقى ، نلمس ذلك في (ألحان شاردة) وهو القسم الثاني من الديوان . حيث يستهله بقوله :

لئن يوماً حدا بكو حنين لسان القبور الدارسات وأوقفكم على قبري اعتبار أو استمبار عين الذكريات فناجونى بناي أو كنان لتسمد في حفائرها رفاقي وفي قصائده « عازف » و « ناي » و « وداع عود » وغيرها من الألحان الشاردة ، نحس بالألغام التي صيغت من ذوب القلوب ... فيممت الذكرى وهاجت الشجن ، وقد تحمل الأرواح أحياناً من دنيا المموم وتجملها تطوف بأشواقها على متن الغيوم ، وقد يهيج النغم أشجان القمر فيقف على باب منيبه ويتمنى لو 'مد' بقالا له لسكى بتمتع بأنات الوتر . ولا عجب أن ترى وحي الموسيقى يشيع في الديوان فهي والشعر أخوان تبهم بهما النفس الجيلة ، وتسمو على أجنحتهما إلى دنياوات ساحرة

وهناك من القصائد ما هفت فيها روح الشاعر نحو أليفها حيرى مضطربة ، أذكر منها « الوعود » و « وادي الأحلام » وقد تشيع روحه الحيرى هذه في كثير من قصائده ولكنها في هاتين أظهر . ولتستمع إلى هذا الكتاب وما فيه من سمرارة عذبة ، إذ يقول في قصيدة وادي الأحلام :

أنسيت عهدك والزمان مسالى فتركتني والبؤس من أخذاني أم شاق قلبك غير ودّي شائق فرميت بي في وحدة الأحزان يا ساليا ما إن ذكرت زمانه إلا بكى زمنى وأن مكاني ثم بصف لنا ما كان في وادي أحلامه من طير وشجر وماء وزهر ، وكيف كان الماء يروي للبنفسج شوقه وهيامه بمراشف الأغصان ، إلى أن يقول :